

المجلد: 07 / العدد: 02 / ديسمبر (2023)، ص.ص. 29-21

الإسلاموفوبيا وتمثّلاتها في الخطاب الروائي العربي النسوي
رواية غربة الياسمين لخولة حمدي انموذجا.

The islamophobia and its representations in the discourse of the Arab féministe novelist by khaoula hamdi as a model.

حسين بن تركي

Hocine.benterki@univ-bejaia.dz

جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية

مخبر التأويل وتحليل الخطاب.

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2023/12/02

تاريخ القبول: 2023/07/19

تاريخ الاستلام: 2022/11/14

ملخص:

عرفت العلاقة بين الأنا والآخر اضطرابا وتوترا كبيرا، ومن أسباب ذلك، الاختلاف الأيديولوجي، واختلاف الهويات العقديّة بينهما، فظهرت في كثير من بلدان الغرب مظاهر التعبير عن حالة الخوف والتوجس من الشرق والإسلام، وشاع ما يسمى بالإسلاموفوبيا، وقد شكّل هذا المصطلح موضوعا خصباً للروائيين العرب الذين وجهوا أفلامهم لرصد قوى الجذب والطرّد لتلك الذهنيات المتباينة، الأمر الذي حذا بنا إلى اختيار رواية غربة الياسمين للروائية التونسية خولة حمدي والاشتغال عليها وصفاً وتحليلاً بغية الوصول إلى صورة الأنا الشرقي بالنسبة للآخر الغربي، وكذا الوصول إلى مختلف الأسباب التي ساعدت في ظهور وتوطيد مصطلح الإسلاموفوبيا؟
كلمات مفتاحية: الإسلاموفوبيا، الأنا، الآخر، الإرهاب، فوبيا.

Abstract:

The relationship between égoïsme and the other witnessed a great turbulence and tension because of there ideological and credos differences-expression of the fear and apprehension about Islam and the spread of the so-called islamophobia appeared in many arabes countries, in which it was a fertile topic for the arabe novelists who directed there pens to monitor the force of attraction and explosion of these different mentalities. The above led use to "jasmine Eeriness" of the Tunisian novelist "khaoula hamdi" and the work on it as a description and analysis so as to reach the image of the eastern ego for the western other as well as the various reasons that aided in the emergence and consolidation of the term islamophobia.

Keywords: Islamophobia, ego, the other, phobia, terror.

مقدمة

شهدت الرواية العربية التي تشكّلت في فترة التحولات الكبرى تطوّرا كبيرا من حيث مستوى مواضيعها وتقنياتها، فتنوّعت على مستوى تيماتنا أيضا، وتفاوتت جمالياً في عرضها، وقد شكّلت العقيدة الدينية قيمة أساسية

في معمارية المتن الروائي وتخصيصاً الدين الإسلامي، وهو الموضوع الذي طالعنا إياه رواية "غربة الياسمين للروائية التونسية خولة حمدي"، التي حملت في ثناياها مسألة صدامية تعلقت بمشكلة الدين الإسلامي الذي تكالبت حوله القوى المعارضة له في ديار الآخر الغربي، وقد ارتأت الروائية من خلال روايتها أن تجلّي الفضاء التصادمي مع العقيدة الإسلامية من خلال إظهار الصراع القائم بين قطبي الأنا والآخر عبر تبيان تضادهما الفكري، واختلافهما العقدي، وتؤكد من خلال هذا الطرح أيضاً مسألة التشبث بالعقيدة الإسلامية الصحيحة لدى الأنا، في مقابل تجلية طابع العداوة والبغض عند الآخر المضاد لها، الأمر الذي ساهم في ظهور وتوطيد مصطلح الإسلاموفوبيا.

1. الجذور التاريخية لظاهرة الإسلاموفوبيا:

إن المتبصر لعلاقة الأنا والآخر، يجد أنها علاقة صدامية متجذرة في عمق التاريخ، فقد رفض هذا الآخر الأنا لاختلافه عنه لغة وعقيدة، ما أسهم في ظهور وتوطيد مصطلح الإسلاموفوبيا، والبحث في هذا المصطلح يعود بنا للبحث في مسار العلاقة بين الأنا الشرقية والآخر الغربي، التي بدأت مع ظهور الإسلام وانتشاره إلى أقصى بقاع الأرض، وهنا بدأت معالم الخوف والتوجس تنبذ لدى الغرب إزاء هذا الوافد، وقد زاد انتشار الإسلام وتوسعه في حدة التوتر والصراع بين الطرفين من خلال الاعتبارات التي تبتأها الغرب وآمن بها، التي تدعي أن الإسلام في بدايته ظهر بحد السيف، ذلك أنه يحمل في محتواه آيات تدعو إلى العنف، ثمانتقل الصراع ليأخذ منحى آخر متجاوزاً من ذلك المواجهة المادية الاستعمارية، إلى حملة تشويه لقيم وتعاليم الدين الإسلامي، التي تمحورت في مجموعة الأفكار الدينية المسيحية التي استهدفت الأنا المسلمة وربطتها بالعنف.

والمتمتع لمصطلح الإسلاموفوبيا يجد أنها كلمة مركبة من مفردتين، الإسلام وفوبيا، يشير مصطلح الإسلام كما عرفه الجرجاني "أنه الخضوع والافتقار لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم" وفي تعريف آخر لأبي حنيفة "هو التسليم والافتقار لأوامر الله" ² والإسلام من هذا المفهوم هو التسليم والخضوع لما جاء في الوحي الإلهي من عقائد كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، ومن عبادات شعائرية كالصلاة والصوم، ومعاملات تتضمن القيم والأحكام والتكاليف، بينما مصطلح الفوبيا فهو مرض نفسي، يقصد به الخوف المتواصل من مواقف ونشاطات صادرة من الآخرين، "وهو أيضاً مرض يصيب الفرد في الأساس، له أعراض كالشعور بالاختناق وسرعة خفقان القلب، وتقلب المعدة والارتعاش الشديد، فهو إذن مرض نفسي له أعراض عضوية" ³ وهذا ما يدخله في نطاق "التيكوسوماتيك"، المرض النفسي العضوي، والفوبيا في المجتمع الغربي تأشست من خلال وجود وانتشار الإسلام فيه، باعتباره اتجاهاً دخيلاً سلبياً حسبها، وانطلاقاً من هذا التوجه حددت طريقة التعامل بين الغرب والمسلمين والتي تلخصت فيا لعداء والاستعلاء، الكراهية الإسلاموفوبيا.

إنّ النشأة الأولى لاستخدام مفهوم الإسلاموفوبيا كما تشير الدراسات الأكاديمية الغربية، تعود إلى عشرينيات القرن الماضي، مع المستشرق البلجيكي "هنري لامينس" الذي عاش في لبنان لسنوات، فظهر المصطلح في سياق كتاب له عن "الرسول محمد صلى الله عليه وسلم"، كما ظهر المصطلح أيضاً في كتاب للرّسام الاستشراقي الفرنسي "إيتان ديني" بعنوان الشرق كما ينظر إليه الغرب ⁴ وقد شهد هذا المفهوم ازدهاراً وحضوراً كبيراً في مطلع القرن الأول من الألفية الثالثة ذلك مع "بروز الثورة الإسلامية الإيرانية 1999، والجهاد في أفغانستان 1980، وقضية سلمان رشدي 1986، ثم حرب الخليج الفارسي 1991، والحرب في يوغوسلافيا السابقة 1992 وبرز الإسلام عاملاً سياسياً في العالم الإسلامي، وأحدثت تحولات نوعية في واقع العلاقات الدولية" ⁵ ومصطلح الإسلاموفوبيا قد أحدث نقلة نوعية في طريقة التعامل بين الشرق والغرب، أساسها التحيز للغرب وخدمة مصالحه.

ومن هذا يمكن أن نقول أنّ مصطلح الإسلاموفوبيا، هو مصطلح صنع في الغرب، فالغرب هو من ابتكره كردّ فعل وإشارة على رفض الإسلام، وكمشروع يؤمن به الغرب بمجتمعاته المختلفة، وهذا المشروع يتلخص في رهاب

الإسلام أو الخوف الشديد منه، وتعود أسبابه في غالب الأحيان إلى "أن التاريخ قد احتوى على الكثير من الوقائع والصراعات بين الإسلام والغرب، ضف إلى ذلك، الجهل به، الأمر الذي جعل الغرب يشعر بالخوف والريبة اتجاهه فيميل إلى معاداته"⁶ (محمود، 2016، ص. 428)، فالغرب احتكم في علاقاته مع الشرق على تلك القاعدة الثابتة التي تدن الدين الإسلامي وتعتبره دخیلاً عليها.

2. تداعيات الخوف والرفض الغربي للأنا الشرقي

اختلفت الأسباب والدوافع التي ساعدت في تنامي التوتر والخوف عند الغرب من الأنا الشرقي، ذلك راجع لأسباب متباينة أبرزها تلك النزعة الاستعمارية التي يتميز بها الغربي ضد الإسلام، وما يبرز تلك النزعة هو تأكيد دول الغرب على أن الإسلام هو العدو الوحيد الذي يهدد النظام العالمي "إذ لا يمكن وصف أي دين أو تجمعات ثقافية شكلت مثل الخطر والتهديد مثلما أكدته الحديث عن الإسلام، وليس من قبيل الصدفة تعزية أسباب تفاقم أزمات العالم الإسلامي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إلا لبذل الغرب مزيداً من العمل لدحر هذا الخطر القادم من الشرق"⁷، فظهوره عزز الصراع وساهم في تفاقمه، ما جعل دول الغرب تسعى لمحوه وإغائه ومنع انتشاره، وبذلك حدّد طريقة التعامل معه، والمبنية على التحيز لما يريده هو وما يخدم مصالحه، "وفي هذا تكريس للهيمنة الاستعمارية الغربية والامبريالية الأمريكية"⁸، فالحديث عن إدارة تلك العلاقات الدولية تقتضي وفق ما جاء به الغرب النظر إليها من جانب واحد يؤمن بتفوقه وسيطرته.

ومن الأسباب التي ساهمت أيضاً في تنامي هذا الخوف من الإسلام، هي الفكرة الخاطئة التي تكوّنت عنه، التي ساهمت في الخلط بين الدين الإسلامي وما جاء به، وواقع المسلمين، إذ أن الدين الإسلامي جاء بمكارم الأخلاق، وحدّد سلوكيات الفرد، وفق سجيّة سليمة، بينما واقع المسلمين أو البعض منهم من ينسبون أنفسهم إليه فالواقع يختلف، إذ أنهم نسبوا إليه دعاوي القتل والظلم في الآخر، فهذا يسبّ وذاك يكفر، ومن زاوية أخرى نجد جهابذة اللّهُ والتطرّف الذين نصبوا أنفسهم محكمة الهية تسوّس بالجزاء والعقاب على كلّ من تاب أو عاب، وهم بذلك يسيئون للإسلام دين السماحة والصدق، وهذه الانزلاقات والتجاوزات إزاء الإسلام سواء كانت متعمّدة أو متبوعة بجهل التطرّف، وجب الوقوف ضدها وتبصير الرأي العام العربي المسلم والغربي.

إن ثقافة التطرّف والتعصب لا وجود لها في قاموس الإنسانية والديانات السماوية على اختلافها، فهي ترفض العنف والتسلّط على الآخر سواء بطريقة مباشرة أو غير ذلك، ونخص بالحديث هنا الإسلام، خاتم الرّسالات السماوية واصفاها وإيسرها تكليفاً، فهو عقيدة تدعو للحوار والتسامح، وتقوم على التنوّع ونبد العنف، ولكن على الرّغم من هذا إلا أنه لا يمكننا أن ننكر "أنّ بعض المسلمين يقتربون أفعال عنف"⁹ ما جعل الغرب يحتكم إليها ويبنى تصوّراته وفقها، فيرفضه انطلاقاً من تصرفات بعض المسلمين المتطرّفة، اذ يتمّ التركيز فيها واتخاذها مرجعاً لبناء تصوّر عام حولة، فيظهر بوجه سلبي، وهذه التصرفات المتطرّفة لا تعبّر انطلاقاً عن الدين الإسلامي المنزل ولا على مجمل الظاهرة الإسلامية لكنها تؤثر بشكل كبير في تكوين الصورة السلبية وعدم الفهم الصحيح لحقيقة الإسلام في مبادئه وتعاليمه وقيمه.

ومن الأسباب أيضاً الحقد الصليبي تجاه الإسلام والمسلمين، فقد أثار الامتداد الإسلامي في أوروبا حفيظة الغرب المسيحي الذي أصبح نفوذه متقهقراً، الأمر الذي "دفع برجال الدين للطواف في أرجاء المدن الأوروبية مندّدين بالخطر القادم من الجزيرة العربية، تحت غطاء الصليب والدفاع عن مقدّسات الرّب"¹⁰، فالإسلام بهذا يعتبر خطراً يهدّد الكنيسة باعتباره دخیلاً يدعو للغزو عنها واعتناقه والعمل بتعاليمه السّمحاء، وهذا ما جعلها "تشنّ ضده حملات إرهابية شرسة ظلّت أثارها محفورة عميقاً في الذاكرة الغربية تتناقله الأجيال عبر العصور، في موجة من

العداء والحقد الذي لا ينتهي لما خلفه الصراع من الوافد الجديد"¹¹ وطبيعة ذلك الصراع الذي كان ولا يزال قائما بين المسلمين والغرب قد ساعد على رسم الصورة الدونية للمسلم، ورسخ فكرة ربط الإسلام بالإرهاب. عملت الكنيسة على رسم صورة دوتية للإسلام والمسلمين أدت إلى الجهل به وسوء فهم تعاليمه، وإذا انصرفنا لردود الفعل الغربي حيال معاداة المسلمين، فالصورة النمطية للغرب المسلمين المسيطرة على المتخيل الغربي كانت ولا شك نتاج الجهل المطبق بالإسلام مضامينها وتاريخها، لكنه جهل ذو طبقات ومراحل، بلغت التعقيد، فالصورة صادرة عن رجال كانوا يؤمنون إيمانا عميقا بما يكتبون، وقد كان همهم الأول إقامة التآلف بين ما تصوّروه وما في الكتاب المقدس الذي كان مرجعهم الوحيد المعترف به لديهم"¹² وبين الجهل المركب الناتج عن سوء فهم وتقصير المسلمين في التعريف بدينهم، تأسست نظرة الغرب للإسلام على اعتبار أنّ المسلم ذاته كان قاصرا في رسم وتصوير الصورة الحق لنفسه ودينه.

3. الأناني مرايا الآخر في ظل تنامي مصطلح الإسلاموفوبيا:

شهدت العلاقة بين الشرق والغرب توترا كبيرا لتباين الفكر العقدي بينهما ماساهم في شيوع وترسيخ مصطلح الإسلاموفوبيا من خلال ربط المسلم بفكرة الإرهابي أو البدوي الهمجي، الأمر الذي زاد من حدة الصراع واضطهاد الآخر للأنا، وتنامي موجات العداء، من خلال انعدام الثقة تجاهه، وقد أكد استطلاع للرأي قامت به مؤسسة "دويتشه فيله" في دراسة قام بها المعهد الألماني لحقوق الإسلام عن صورة الإسلام في ألمانيا بعنوان (الرهاب من الإسلام) "أن احترام الألمان للإسلام تراجع منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر، حيث يرى 83% من عينة الاستطلاع البالغة 1076 ألماني أنّ الإسلام يقوم على التعصب وهي نسبة أعلى ب 10% من نتيجة استطلاع سابق، ويعتقد غالبية من شملهم الاستطلاع 71% أنّ الإسلام غير متسامح وكانت نتيجة الاستطلاع السابق 66%، وعبر 91% من العينة على أنّ كلمة الإسلام ترتبط لديهم بالاضطهاد والتمييز ضد المرأة فيما كشف 61% أنّها تعني لهم اللاديموقراطية"¹³ ومنه فقط ارتبط مصطلح الإسلام بكل ما هو سلبي، ما زاد في تشويه صورة المسلم في الغرب، وتبعاً لتنامي تلك الصورة السلبية عن المسلم في الغرب، لجأت الصحافة الأمريكية والبريطانية إلى تخصيص مساحات واسعة لشخصيات ذات تأثير في المجتمع للإدلاء بشهاداتها المعادية، ويعتبر هذا النوع من التصدي والمواجهة، وقد تجسّد هذا في أقوال "صامويل هانتغتون" الذي يرى "أنّ المسلمين يشكلون 20% من سكان العالم وهم وحدهم مسؤولون عن 80% من الصراعات والاضطرابات في عالم اليوم، ومنه يجب مراجعة جذرية الوجود الإسلامي"¹⁴ وبالتالي مراجعة إمكانية التعايش مع هذا الدخيل.

وقد اشتدت وتفاقت مظاهر العداء الغربي للإسلام وأخذت سبلا مختلفة من بينها حظر الرموز الدينية، والتمييز العرقي ضد المسلمين، وكان لأصحاب الرأي والقرار الدور الأعظم في تأجيج وتصعيد العلاقة بين الشرقي والغربي ويظهر هذا من خلال ما قاله "ريتشارد نيكسون" الرئيس الأمريكي الأسبق "إنّ الإسلام والغرب متضادان وأنّ نظرة الإسلام للعالم تقسّمه إلى قسمين (دار الإسلام، دار الحرب)، حيث يجب أن تتغلّب الأولى على الثانية، وأنّ المسلمين يوحّدون صفوفهم للقيام بثورة ضدّ الغرب وعلى الغرب ان يتحد مع الاتحاد السوفياتي لمواجهة هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة"¹⁵ وهذا ما شكّل داعما نفسيا للآخر الغربي حتى يواصل اضطهاده والغائلا لنا الشرقية.

وقد نتج عن هذا التطرف قرارات ومشاريع تمّ تدارسها أو جرى اقرارها فعلياً في الغرب، وشملت هذه القرارات "خطراً جزيئياً أو كلياً على ارتداء غطاء الرأس والوجه في أماكن عامة أو حتى مغلقة"¹⁶ وفي السياق ذاته سعت الأحزاب اليمينية المتشددة إلى استثمار كل هذا واعتماده في تكريس الخوف من الإسلام والمسلمين وتوظيفه في سياق يخدم المصالح الشخصية الغربية بالدرجة الأولى "فظهرت شعارات منها أسلمة أوروبا والتهديد الخفي وغير

ذلك من الشعارات التي وقرت لليمين المتطرف خطابا مسموعا عوّضه عن ضعف خطابه السياسي ومحدودية البدائل الاقتصادية والاجتماعية التي يقدمها¹⁷ وقد تجلّت نتائج هذا الخطاب في تنامي الأعمال العدائية من الآخر ضدّ الأنا، وقد تمثلت من خلال تدنيس رموز المسلم في أكثر من مناسبة، ضف إلى ذلك الاعتداءات الممنهجة عليهم في شوارع وأزقة المدن الأوروبية، ومنه فقد شهدت الأناضطهادا وتهميّشا كبيرا يعود سببه إلى الصورة السلبية التي رسمت عن الاسلام.

4. تمثّلات الإسلاموفوبيا في رواية غربة الياسمين لخولة حمدي:

إنّ المتبصّر لواقع الإسلام والمسلمين في الوعي الغربي انطلقا مما تمّ عرضه مسبقا، يجد أنّ صورة المسلم بالنسبة للآخر لم تختلف ولم تتغيّر، فهي صورة نمطية متجذّرة في الفكر العربي، الذي يرى في المسلم ذلك الإنسان المهووس بالعنف والتدين المبالغ فيه، فهو الإرهابي المتعصب لرأيه ومخلوق يجافي العلم والمنطق، وهي صورة ترسّخت في وعي الغرب نتيجة تشبّث الأنا الشرقي بعقيدته ورفضه الانصهار في ذات الآخر الغربي، وبالتالي شهد الإسلام محاولات عديدة سعت لمحوه والغاءه من خلال تشويهه بربطه بالإرهاب، وتبعاً لذلك ظهر مصطلح الاسلاموفوبيا.

ارتأتا للروائية "خولة حمدي في روايتها غربة الياسمين" أن تبين الفضاء التصادمي للغرب مع العقيدة الإسلامية من خلال تقديمها لشخصيات الرواية، بين من تمسّكت بتعاليم الدين الإسلامي وبين من اختارت التماهي في صورة وكيان الغربي المعادي للإسلام، فمن الأسباب القويّة التي ساعدت في ترسيخ مصطلح الإسلاموفوبيا هو رفض الأنا التنازل عن هويته والاندماج في هوية الآخر، وبهذا قام برفض ما فرض عليه، وبالتالي لابد من تهميّشه والغاء وتشويه صورته، من خلال المساس بمبادئه ومقوماته، وقد سعت الكاتبة لتبيان هذا الصراع العقدي وتأكيد مسألة التشبّث بالعقيدة الإسلامية الصحيحة لدى الأنا، في المقابل إظهار طابع العداوة والبغض عند الآخر المضاد، ويظهر هذا من خلال السياق الآتي "حال عودتهم إلى البيت، أخذتها سارة لزيارة غرفتها، أرتها حاسوبها الخاص، ولعب الفيديو الخاصة وملابس الشهرة الخاصة بها، ثم جلست على طرف سريرها وهي تسألها في فضول جاهدت في تكتمه منذ رأتها:

لماذا تغطّين شعرك

إنّه الحجاب الذي يأمرنا به الإسلام

لكنّك لم تكوني تلبسينه من قبل

نعم لأنني لم أكن مستعدّة، ليس قرارا سهلا، والظروف ليست مناسبة في تونس،

لكنتي منذ سنتين حسمت أمري ولبسته

حسن، هذا شأن يخصّك... مع أنّ شكلك أصبح ممّلا مثل جدتي¹⁸

يتّضح من خلال هذا المقطع آتاللساردة تضعنا أمام صورة من صور السخرية التي تعاني منها المرأة المحبّبة في بلاد الغرب، وصور السخرية هاته عكستها شخصية سارة التي تحدّثت بشكل استهجاني احتقاري عن الزي الإسلامي الذي طبع الشخصية المسلمة "ياسمين"، إذ رأت أنّ الحجاب يشكّل علامة فارقة بينهما، فهو لباس لا يخصّ الشابة الأنيقة إذ إنّ الجمال يزيد توهّجا حين تتخلّى الفتاة عن الحجاب الذي يخفي مفاتها.

وفي موضع آخر تستمر التّاصة في استعراض صور العداوة التي يكنّها الغربي للأنا المسلمة، وقد نقلت الروائية هذا من خلال الخطاب الموجه من سارة إلى أختها ياسمين، الذي يغلب عليه الطابع التّهكمي والاستهزائي بعقيدة الإسلام، ويظهر هذا من خلال السياق الآتي "في جملة واحدة سخرت من جدتها واستهزأت بتعاليم الإسلام دون أن يهتزّ لها جفن، كتمت ياسمين ضيقها وقالت في هدوء:

سارة عزيزتي، هذا كلام غير مؤدب
بينما ضحكت سارة دون أن تعتذر، تابعت ياسمين في لهجة حادة
أنت لم تعودي صغيرة، في سنك الفتاة مكلفة في الإسلام ومسؤولة عن أفعالها
الحمد لله، لا علاقة لي بالإسلام
صعقت ياسمين وهي تسمع الكلمات التي ألقته سارة في لا مبالاة، لم يبدو لها الأمر غريباً؟ إذا كانت الأم
التي تربيتها ملحة فكيف ستنشأ؟¹⁹

يظهر من خلال المقطع السردي استغراب الأنا وانبهارها من ردة فعل الآخر تجاه الإسلام، كما يظهر المقطع
عدم توفيق الأنا في إقناع الآخر بالعودة الرشيدة لحمل الإسلام، وترك اللوحة الظلامية تجاه هذا الدين القيم، ومنه
ارتفاع حدة الصراع بين مسلم يدعو لتعميم دعواه وبين معادي له يراه دخيلاً فيسعى إلى إلغائه وتهميش صوته.
تواصل الساردة من خلال المقطع عرض الصور المضادة للعقيدة الإسلامية، من خلال شخصية سارة ذلك
حين نقلت خطابها الموجه لأختها "ياسمين" بطلّة الرواية والذي طبعه التهمك بعقيدة الإسلام، وهو الأمر الذي
استفز الأنا، التي كانت مقتنعة بفحوى رسالتها العدائية، فهي تدرك أنّ الآخر المجسد في شخصية "سارة" قد نشأ في
كنف الإلحاد.

وقد تجاوز العداء العقائدي مع الدين الإسلامي كنف الأسرة الصغيرة وشغل مساحة أكبر في المجتمع، إذ
تنقلنا الروائية إلى حيز مؤسسات العمل المناهضة للمظهر الإسلامي وخاصة مسألة الحجاب، والتي يمكن اعتباره
تيمة مركزية في الرواية فقد أجلت من خلالها التاسة السياسة العنصرية العدوانية للأنا من الآخر الغربي، فعالجت من
خلالها نظرة المجتمع الفرنسي له باعتباره عائقاً في تقدم المرأة ورمز القهر والتخلف، وهذا ما حدث مع البطلة التي
تعرضت لحملة عنصرية بسبب حجابها، فقد تعرضت للرفض من عدة شركات لمجرد أنها تلبس الحجاب، ويظهر هذا
من خلال السياق الآتي "قالت الموظفة لها: آتسة ياسمين مملّك ممتاز ويتماشى تماماً مع المواصفات التي تلزمنا...
هناك نقطة واحدة قد لا تكون في صالحنا أمام اللجنة....

الأمر متعلق بغطاء الرأس.... آسفة لباسي غير قابل للتقاش
لا أعلم بالضبط ماهي القناعات التي تملي عليك هذا اللباس بالذات، لكن في إطار العمل الممكن أن
يطلب منك المدير الالتزام بزي رسمي في المكتب"²⁰.

صوّر هذا المشهد مشادات عنيفة فحواها تمسك الأنا بأصول عقيدتها المسلمة، وبين الآخر المتباين عقائدياً
مع دينها، فكفاءة ياسمين لم تشفع لها في الشركة، إذ أنّ الحجاب في نظرهم عائق، وكلّ من ترتديه سترفض، وتبعا
لهذا يتضح أنّ هيئة ياسمين بحجابها كانت عقبة في عدم قبولها في الشركة، لكنها رغم ذلك بقيت صامدة ومصرّة على
الالتزام به وعدم التنازل، وهذا المشهد في الحقيقة ما هو إلا صورة من صور التعسف واللاديموقراطية التي يمارسها
الآخر ضدّ الأنا انطلاقاً من مظهره وشكله.

تستمرّ الروائية في عرض الصور التي تحمل النظرة الدونية والتعسّفية للمرأة المحجّبة ويظهر هذا في قولها: "
التضييق على المحجّبات كان ومازال رياضة تمارسها رجال الشرطة بكثير من المتعة... كلّ شيء بدأ في عهد الرئيس
السابق "الحبيب بورقيبة" حين صدر المنشور 108 سيء الذكر سنة 1981 والذي وصف فيه الحجاب باللباس
الطائفي غير المتناسب مع عادات البلاد وتراثها"²¹ يلخص هذا أحد الأسباب المباشرة لترسيخ فكرة الاسلاموفوبيا من
خلال ربط الحجاب بالطائفية أي أنّ كلّ من ترتدي الحجاب تمتاز بالطائفية والخروج عن القانون، عطفاً على ما
سبق ذكره، نزع الى أتمسالة الخوف من الحجاب ورفضه لم تكن مسألة مقتصرة على الآخر وإنما كان لها وجود أيضاً
في "تونس" أي في بلاد الأنا، ويظهر ذلك من خلال قولها: "الحبيب بورقيبة هو رئيس تونس ليتجلى من خلال

هذا الطرح نظرة السلطات التونسية للمرأة المحجبة، التي لا تختلف عن نظرة الآخر العربي لها، لتظهر الأنا في صورة الضدمة و التعجب، ذلك أنها تحدت الصعاب في سبيل الحفاظ على حجابها في دولة الآخر، بينما هي تتعرض للتهميش والإلغاء في وطنها، لكن ذلك لم يمنعها من التشبث به فهو لم يكن عندها مجرد إكسوار أو موضه، بل هو قناعة والتزام.

وقد خاب ظن البطلة في الرواية عندما اكتشفت أن فرنسا التي تنادي بالحرية وتسعى لتطبيقها، في حد ذاتها أول من يسعى لطمسها والغائها، فكانت الحال فيها أسوء من نظيرتها في تونس، فقد أعلن القانون الفرنسي حربه على الحجاب، عندما كشف عن وجهه الحقيقي، المليء بالعنصرية، والصحية دائما هي المرأة المحجبة، أوضحت الشاردة الثبرة العنصرية عند الآخر ويتلخص هذا فيما جاءت به على لسان مسؤولة الشركة: " يمكنك أن تنزعي غطاء رأسك... أشعة الشمس لا تصل إلى هنا... حاولت أن تتجاهل وقاحتها... في الحقيقة كنت مهتمة حين وصلت، لكنني رأيت أن اهتمامكم بلباسي كان أكبر من اهتمامكم بكفاءتي"²² هذا وقد استمرت معاناة البطلة في ظل العنصرية والأهانات المتكررة بخصوص حجابها ويظهر هذا في السياق الآتي: "أنت ومثيلاتك تقبلن التوازي خلف أكوام الأقمشة كالك بضاعه يخشى عليها من الغبار، ولا أصدق أن شخصاً عاقلاً يختار السج و يترك الحرية"²³ وبناء على هذه المكاشفات التحليلية لتحديات العقيدة الإسلامية التي تم عرضها يمكن أن نقول أن المسلم كان محل استهداف داخلي وخارجي معا، ذلك أن المعتقدات المغايرة والمضادة والتي انساق خلفها العديد من الذهنات، قد شكلت ناقوس خطر يهدد سلوكيات المسلم كما أن الانقلاط عن الهوية العقدية واجتباء فضاء ديني متحرر متناغم مع فكر استلابي جديد قد أفرز عقليات هجينة عداثية لا تؤمن بالتعايش مع الآخر المتميز عنها وبالتالي تسعى لإلغائه و اخماد صوته.

لقد تناولت الناصة من خلال روايتها تيمة الإرهاب باعتبارها أهم عامل من العوامل التي اتخذها الغرب في بناء مصطلح الاسلاموفوبيا من خلال ربط الإسلام بمختلف الممارسات الجائرة التي تسبب الخوف والفرع، ويظهر هذا في الرواية من خلال حادثة الانفجار في شركة الكيمائيات والتي اتهم في تنفيذها "عمر الرشيد" الذي اتهم بأنه إرهابي ويظهر هذا من خلال السياق الآتي "الملف الذي بين يدي وما يحمله من شهادات وقرائن كاف لإدانتك بكل سهولة لكن إن ساعدتنا في كشف كالأطراف المشاركة في المؤامرة فستجد منا تعاوناً، قد نتوصل إلى اتفاق يمكنك من الحصول على حكم مخفف، عشرون سنة بدل السجن المؤبد... إدارة جامعة غربنول بلغت عن طالب ذي سلوك غريب، من المشتبه انتماءك إلى جماعة متطرفة"²⁴ يظهر هذا المقطع السردى ديكتاتورية الغربي وحقه على الأنا، فكل الأدلة التي تدين عمر تتلخص في أنه شخص مختلف، مسلم ذو لحية، وهذا يظهر أن التطرف كان صفة ملازمة للغربي المتطرف.

ارتبط تفكير الآخر الغربي بفكرة "الاسلاموفوبيا" فهم يعتقدون على حسب قول السادرة "أن كل مسلم ملتزم هو بالضرورة مشروع إرهابي، ربما أفهمهم لأنهم يجهلون كل شيء عن ديننا ورؤوسهم مليئة بالأفكار المشبوهة"²⁵ فجهل الفرنسيين بتعاليم الدين الإسلامي وقيمته أدى بهم لتشويه صورته، وقضية الإرهاب قضية متجذرة ومطروحة من البداية في الرواية "كان الهلع الذي أصاب الفرنسيين يجعلهم يتشككون من أي شيء، ومن كل شيء، ويتخيلون أنفسهم مهددون بخطر إرهابي، لم تعد فرنسا بلدا آمنا، التهديد بالإرهاب يثير الرعب في قلوب المواطنين الذين صاروا يخشون على حياتهم من تفجيرات إرهابية قد تطرأ في أي حين"²⁶ فالإرهاب أصبح هاجسا لدى الفرنسيين يهدد حياتهم وأمنهم، ما دفعهم إلى وضع لافتات عنصرية ضد كل إفريقي ومغربي "أوقفوا الإرهاب، أوقفوا مد الهجرة المغاربية والإفريقية، تطفوا مجتمعنا من الحثالة المسمومة" (حمدي، 2015، ص. 145) فوجود المسلمين في بلادهم يثير الرعب والخوف داخل أنفسهم وأوطانهم.

لقد نوهت الناصة إلى مسألة الإرهاب أيضا في الحوار الذي دار بين "روزلين وباسمين" وذلك حتى تثبت أن الغرب لم يكشف بنعت الرجل بالإرهابي وإنما تجاوز ذلك إلى اتهام بنات المسلمين المحجبات بالإرهابيات، حيث أبانت "روزلين" الممثلة لشخصية الآخر الغربي عن عنصريتها وحقدتها للإسلام ذلك عندما وصفت ياسمين بالإرهابية "صرخت... الإرهابية... أخرجوا الإرهابية من هنا... التحدة"²⁷ فمجرد الحديث عن الإسلام والغوص فيه، يعتبره الغرب خطرا وتهديدا لديانتهم، فينعتون الآخر بصفة الإرهابي.

يتضح من خلال ما تم عرضه أن المجتمع الفرنسي مجتمع ظالم، ومجحف في حق المسلم، مجتمع يحمل في ثناياه بوادر العنصرية والتطرف، ذلك أن عمر برئ والأدلة غير كافية لإدانتها، ولكنه رغم ذلك حكم عليه بالسجن لسنوات طوال، هذا فقط لأنه مسلم، وبالتالي فإن ربط مصطلح الإسلام بفوبيا هو مصطلح مؤسس قائم على هدم تعاليم وقيم الدين الحنيف ومحو كيانه ووجوده.

خاتمة:

يتضح من كل ما سبق أن الروائية "خولة حمدي من خلال روايتها غربة الياسمين" قد رسمت صورة من صور التصال من أجل العقيدة الدينية، كما كشفت عن جملة المعاناة التي تعانيها الأنا المسلمة من اغتراب وعنصرية وتهميش، كما ركزت على أهم المعايير التي ساعدت في ربط الإسلام بمصطلح فوبيا، أين تناولت مسألة الحجاب الذي اعتبره الآخر رمزا للتخلف والتطرف والاضطهاد للأثني، كما تحدثت عن ظاهرة الارهاب التي ابتدعها الآخر وأنسبها للأننا بغرض تشويه صورته وتهميشه.

- قائمة الإحالات:

1. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني. 1991. التعريفات. القاهرة: دار الرشد، ص 31.
2. الملا علي، القاري. 1997. الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان. بيروت: دار النفائس، ص 19.
3. محمد عدار، 2019. الإسلاموفوبيا تحليل نظري معرفي، الإسلاموفوبيا في أوروبا الخطاب والممارسة، ط 1. ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
- ص 13.
4. محمد أحمد النابلسي. 2015. الإسلاموفوبيا كمظهر لجنون العظمة الغربي. شبكة العلوم النفسية العربية، ص 1.
5. واصف شديد، سحور دافان كونغسفيدل. 2006. الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب. مجلة الحياة الطبية. ص 15.
6. سهير محمود نعين. 2002. الحروب الصليبية المتأخرة. ط 1. مصر: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص 428.
7. إدوارد سعيد. 2015. تغذية الإسلام. ط 1. القاهرة: دار الرؤية للنشر والتوزيع، ص 25.
8. صوفي بسيس. 2002. الغرب والآخرون قصة هيمنة. ط 1. القاهرة: دار العالم الثالث، ص 87.
9. واصف شديد، مرجع سابق، ص 27.
10. صالح الرقب. 2010. واقفنا المعاصر والغزو الفكري. الطبعة الجديدة. الدار العالمية للتجليد، ص 1.
11. سهير محمود نعين. مرجع سابق، ص 39.
12. ريتشارد شوزرن. 2006. صورة الإسلام في أوروبا والقرون الوسطى. ط 2. بيروت: دار المدار الإسلامي، ص 62.
13. هانينر بيفلد. 2008. صورة الإسلام في ألمانيا. مجلة المستقبل العربي. ع 10. ص 81.
14. المرجع نفسه، ص 102.
15. ريتشارد نيكسون. 1992. الفرصة السانحة. القاهرة: دار هلال، ص 139.
16. المرجع نفسه، ص 143.
17. المرجع نفسه، ص 83.
18. خولة حمدي. 2015. غربة الياسمين. ط 1. مصر: كيان للنشر والتوزيع، ص 11.
19. المرجع نفسه، ص 13.
20. المرجع نفسه، ص 18/17.
22. المرجع نفسه، ص 18.

23. المرجع نفسه، ص 42/43.
24. المرجع نفسه، ص 143.
25. المرجع نفسه، ص 93.
26. المرجع نفسه، ص 93.
27. المرجع نفسه، ص 143.

قائمة المراجع

1. إدوارد سعيد. 2015. تغطية الإسلام. ط1. القاهرة: دار الرؤية للنشر والتوزيع.
2. خولة حمدي. 2015. غربة الياسمين. ط1. مصر: كيان للنشر والتوزيع.
3. ريتشارد شوذر. 2006. صورة الإسلام في أوروبا والقرون الوسطى. ط2. بيروت: دار المدار الإسلامي.
4. ريتشارد نيكسون. 1992. الفرصة السانحة. القاهرة: دار هلال.
5. سهير محمود نعيم. 2002. الحروب الصليبية المتأخرة. ط1. مصر: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
6. صالح الرقب. 2010. واقعا المعاصر والغزو الفكري. الطبعة الجديدة. الدار العالمية للتجليد.
7. صوفي بسيس. 2002. الغرب والآخرون قصة هيمنة. ط1. القاهرة: دار العالم الثالث.
8. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني. 1991. التعريفات. القاهرة: دار الرشاد.
9. محمد أحمد النابلسي. 2015. الإسلاموفوبيا كمظهر لجنون العظمة الغربي. شبكة العلوم النفسية العربية.
10. محمد عدار، 2019. الإسلاموفوبيا تحليل نظري معرفي، الإسلاموفوبيا في أوروبا الخطاب والممارسة، ط1. ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
11. الملا علي، القاري. 1997. الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان. بيروت: دار النفائس.
12. هاينريغلد. 2008. صورة الإسلام في ألمانيا. مجلة المستقبل العربي. ع 10.
13. واصف شديد، سحور دافان كونغسفيدل. 2006. الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في الغرب. مجلة الحياة الطبية.